هُــوَ الْــوَفِــيُّ وَلٰــكِــنِّــي ذَكَــرْتُ لَــهُ
مَــوَدَّةً فَــهْــوَ يَــبْــلُــوهَــا وَيَــمْــتَــحِــنُ(١)

وإذا لم يكن من الموت بد

ومما قال بمصر ولم ينشدها الأسود ولم يذكره فيها:

[الخفيف]

صَــحِــبَ الــنَّــاسُ قَــبْــلَــنَــا ذَا الــزَّمَــانَــا
وَعَــنَــاهُــمْ مِــنْ شَــأْنِــهِ مَــا عَــنَــانَــا(٢)
وَتَــوَلَّــوْا بِــغُــصَّــةٍ كُــلُّــهُــمْ مِــنْــ
ـهُ وَإِنْ سَــرَّ بَــعْــضَــهُــمْ أَحْــيَــانَــا(٣)
رُبَّــمَــا تُــحْــسِــنُ الــصَّــنِــيــعَ لَــيَــالِــيــ
ـهِ وَلٰــكِــنْ تُــكَــدِّرُ الْإِحْــسَــانَــا(٤)

= كافور، فهو يُسارع بعطاياه، فيزيده منها فوق ما يأمل منه، لذا فأمله به كبير أن يُلبي مبتغاه ولا يتأخر في ما وعده بإنجازه ذات يوم، إنه يلمّح بوعده بولاية من قبل كافور.

(١) يبلوها: يختبرها. يُحاول الشاعر أن يُمني نفسه بأن يفي كافور بوعده ذات يوم، والتأخير من قبله بمثابة امتحان لصبر الشاعر حتى ينال جائزته وأمنيّته.

(٢) عنانا: أهمّنا. يبدأ الشاعر قصيدته ناعياً على البشر تكالبهم على الحياة، إنهم من لحم ودم، وإن اختلفت مشاربهم وآراؤهم وعقولهم فثمة همّ يعنيهم يتمحور حول توفّر حياة كريمة قدر الطاقة وتبعاً للظروف، وعلاقتهم مع الزمان علاقة صراع يتمحور حول النصر والهزيمة والحبّ والبغض و... و...

(٣) تولّوا: رحلوا. الغصّة: الشعور بالألم والحزن. يُردف الشاعر أن المرء قد يُصادف لحظات فرح وسرور، ولكن سرعان ما تمضي تلك السانحات لتخلّف المرارة في نفس المرء فيئن الرحيل دون سابق إنذار فيخرج من أتون الحياة إلى رحاب الموت خالي الوفاض والحسرة غصّة في الحلق.. إنها نظرة متشائمة لتوالي النكبات على الشاعر.

(٤) يُعقّب الشاعر ناعياً على الدهر تقلّبه وعدم استمراره على نهج واحد فهو قد يُوافي المرء بما يسعده فيُفرح ولكن سرعان ما يقلب له ظهر المحن فيبتليه بما يُحزنه ويُؤلمه فيكدّر ما قدّم من حسنات فإذا بها تسوء وقد صبغت بالألم والعذاب.

وَكَـأَنّـا لَـمْ يَـرْضَ فِـيـنَـا بِـرَيْـبِ الـ
ـدّهْـرِ حَـتَّـى أَعَـانَـهُ مَـنْ أَعَـانَـا[١]

كُـلَّـمَـا أَنْـبَـتَ الـزّمَـانُ قَـنَـاةً
رَكَّـبَ الْـمَـرْءُ فِـي الْـقَـنَـاةِ سِـنَـانَـا[٢]

وَمُـرَادُ الـنُّـفُـوسِ أَصْـغَـرُ مِـنْ أَنْ
تَـتَـعَـادَى فِـيـهِ وَأَنْ تَـتَـفَـانَـى[٣]

غَـيْـرَ أَنَّ الْـفَـتَـى يُـلَاقِـي الْـمَـنَـايَـا
كَـالِـحَـاتٍ وَلَا يُـلَاقِـي الْـهَـوَانَـا[٤]

وَلَـوَ انّ الْـحَـيَـاةَ تَـبْـقَـى لَـحَـيٍّ
لَـعَـدَدْنَـا أَضَـلَّـنَـا الـشُّـجْـعَـانَـا[٥]

وَإِذَا لَـمْ يَـكُـنْ مِـنَ الْـمَـوْتِ بُـدٌّ
فَـمِـنَ الْـعَـجْـزِ أَنْ تَـكُـونَ جَـبَـانَـا[٦]

---

(١) ريب الدهر: مصائبه وويلاته. يرى الشاعر أن يُوفر أسباب التعاسة والأحزان، فيتوفّر إنسان ليُحققها في من جرت عليه الأقدار، فيكيد لمن قدّرت عليه النكبة والمصيبة، وبذلك تجتمع إرادة الخلق مع إرادة الخالق سبحانه في من قدّر عليه العذاب.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٣. القناة: عود الرمح. السنان: زجه الذي يُطعن به. كلّ ما أوجده اللّه تعالى كان لصالح البشر، ولكن بعضهم لما ركّب فيه من سوء النيّة ولؤم الطبع، فإذا به يستعمل ما هو في الأصل لمصلحة البشر لقتلهم وتدميرهم في عالم الحروب المدمّرة، فالرمح في الأصل نبت خير والسنان كأداة حديدية وُجدت لمصلحة بني الإنسان، ولكن ذكاءً مدمراً حول منابع الخير إلى وسائل قضاء على البشر.

(٣) إنها دعوة لتحكيم عقول البشر في ما يعود عليهم بالنفع والسلم بينهم، فالتعادي والتفاني بسبب طمع يزول بزوال الموت فالبشر يتعادَوْنَ ويتفانون وراء حطام زائل بدوره، فلا يبقى سوى الندم والحسرات تأكل البشر ندماً وحزناً.

(٤) المنايا، الواحدة منيّة. كالحات: عابسات. يرى الشاعر أن الكرامة الإنسانية والعنفوان الكريم تدفع المرء إلى مواجهة الموت ببسالة، ولو كان ذلك من أسباب فنائه، فخير لمن تمتّع بشيء من الكرامة أن يُضحي من أجلها في سبيل إعلائها كمثل نبيلة إنسانية رفيعة.

(٥) و (٦) ورد البيت التالي في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٣. يرى الشاعر أن الفناء والعدم مصير كلّ حيّ، فلا بقاء لمخلوق يحمل في ذاته الموت، والموت حقّ =

كُـلُّ مَـا لَـمْ يَـكُـنْ مِـنَ الـصَّـعْـبِ فـي الْأَنْـ
ـفُـسِ سَـهْـلٌ فِـيـهَـا إذَا هُـوَ كَـانَـا[١]

جدك طعان بغير سنان

يذكر قيام شبيب العقيلي على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة (٩٥٩م):

[الطويل]

عَـدُوُّكَ مَـذْمُـومٌ بِـكُـلِّ لِـسَـانِ
وَلَـوْ كَـانَ مِـنْ أَعْـدَائِـكَ الْـقَـمَـرَانِ[٢]
وَلِـلَّـهِ سِـرٌّ فـي عُـلَاكَ وَإِنَّـمَـا
كَـلَامُ الْـعِـدَى ضَـرْبٌ مِـنَ الْـهَـذَيَـانِ[٣]
أَتَـلْـتَـمِـسُ الْأَعْـدَاءُ بَـعْـدَ الّـذِي رَأَتْ
قِـيَـامَ دَلِـيـلٍ أَوْ وُضُـوحَ بَـيَـانِ[٤]
رَأَتْ كُـلَّ مَـنْ يَـنْـوِي لَـكَ الْـغَـدْرَ يُـبْـتَـلَـى
بِـغَـدْرِ حَـيَـاةٍ أَوْ بِـغَـدْرِ زَمَـانِ[٥]

= والخوف من الموت يشلّ في المرء زخم داعي الحياة في النفوس، ورغم ذلك فلا بدّ من شرب هذا الكأس، والفرق بين الجبان والشجاع أن الموت سيأتيه ذات يوم عندما تتوفّر دواعيه، ولو لم يفكر هكذا لكان أكبر خاسر لتعريض حياته للأخطار، ولذا فمن الخطأ الجسيم أن يجبن المرء لعلمه اليقيني أن الموت يدركه لا محالة.

(١) ورد البيت في أمالي ابن الشجري ١: ٢٢٦. يُعقّب الشاعر أن ولوج كلّ صعب في البدء تقبّله أو محاولة الإقدام عليه، فإذا حصل كان أسهل ما ظنّ الإنسان، فإذا به يتقبل نتائجه راضياً وقد يكون سعيداً.

(٢) القمران: الشمس والقمر. يُخاطب الشاعر كافوراً أن عدوّه مذموم مكروه من كلّ البشر، حتى لو كان القمران من أعدائه، وهما ما هما من النفع للناس في كلّ زمان، فلا بدّ من ذمّهما وكرههما.

(٣) الهذيان: الكلام اللّامعقول. يُردف الشاعر قوله أن اللّه سبحانه قد سهّل له أن يسمو في ذرى المجد لحكمة اقتضاها ولأمر ما حمل الناس على التقوّل والهذيان في شأن ما آل إليه أمره من عظمة الشأن.

(٤) و (٥) التمس: طلب. يُخاطب الشاعر ممدوحه كيف أن أعداءه يطلبون ويبحثون عن =